

أفكار اقتصادية من أجل اليسار ودعوة إلى الحوار: ما اليسار..



حافظت «مصر الناصرية» على موقعها كقاعدة للحركة القومية العربية. وكانت هذه الحركة قد نشأت كمحضر حركة سياسية بأفق وحدوي (مشرقي) أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، لتتطور كحركة للتحرير القومي والوطني بُعيد الحرب العالمية الثانية وحرب فلسطين 1948، ثم لتستوي في الخمسينيات والستينيات قوة عالمية صاعدة تحت لواءات الحرية والاشتراكية والوحدة، بقاعدة من مصر وقيادة من جمال عبد الناصر، في غمار التجربة المصرية في التخطيط والنحول الاشتراكي والتصنيع (حتى وفاة جمال عبد الناصر في 28 سبتمبر/ أيلول من عام 1970).

في إطار حركة القومية العربية - الثورية الجديدة هذه، تطور اليسار العربي ليأخذ مناحي متنوعة، منها ما هو اشتراكي خالص (وفيه شق ماركسي) كالعديد من الأحزاب والحركات الاشتراكية و«الشيوعية»، ومنها ما هو قومي وحدوي بأفق اشتراكي عام (مثل أحزاب وتنظيمات متنوعة في المشرق العربي خاصة)، ومنها ما هو تحرري وطني جذري بمضمون اشتراكي (كما في الجزائر والمغرب)، ومنه ما هو «التلخيص والمتلقي» حيث تألفت عناصر اليسار العربي فكراً وسياسياً من تكامل الشعارات الثلاثة، على اختلاف ترتيبها: ما بين (الحرية والاشتراكية والوحدة) لدى عبد الناصر، و«حرية - وحدة - اشتراكية» لدى «حزب البعث» بفرقه المتعددة، و«حرية - وحدة - اشتراكية» كما نادى بعض المفكرين.

بعد عدوان نكسة 1967 انزوى اليسار العربي جانباً، وبرز إلى الواجهة تيار «الإسلام السياسي» بفصائله وتياراته العديدة. وخلال عقود زمنية أربعة تقريباً، تربع على عرش «السلطة والمعارضة» فرسا الرهان العربي العليل: العسكريون، والإسلاميون. ومن قلب المعمان برز حصاد التجربة البائسة لنظم الحكم العربية ذات الجوهر التسلسلي، وذات منحنى اقتصادي - اجتماعي (يميني) محمول على أجنحة «الانفتاح» و«اقتصاديات السوق» والاعتماد الكامل على العالم الخارجي، وعلى التفاوت الطبقي الهائل في توزيع الثروات والدخول.

أخذ طغى الكيل وانفجر البركان (الثوري) عند خواتيم 2010 ومطلع 2011. في مصر وتونس واليمن بشكل محدد. ومن بين الركاب صعد تيار الإسلام السياسي، حتى بزّر إلى قمة السلطة، بالاحتكار أو بالمشاركة، ثم هوى النجم الساطع انطلاقاً من مصر في منتصف عام 2013.

منذ تهيأت الفرصة لإعادة صعود اليسار العربي بدلاً مستطعاً، ونجماً مؤهلاً للسطوع، ولكن التقاء تيار المحافظة على الوضع القائم Status quo مع تيار محاولة العودة إلى ما مضى، جعل المحافظين والرجعيين على خط واحد مستقيم معاد

حاضنة كبرى للييسار الاشتراكي، في شقة الماركسي المنادي بالتغيير الجذري الشامل للأوضاع القائمة في ظل المنظومة الرأسمالية. وتؤكد ذلك من خلال واقع ما بعد الحرب العالمية الثانية بانضواء أوروبا الشرقية تحت الزعامة السوفياتية، فقامت «الكتلة الشرقية» مقابل «الكتلة الغربية» بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية.

ولما سجلت الثورة الصينية بقيادة ماو تسي تونغ - زعيم الحزب الشيوعي الصيني - نصرها النهائي في كانون الأول/ ديسمبر 1949 تعاضمت قوة المنظومة الاشتراكية العالمية، حتى وقع الانشقاق الصيني - السوفياتي، اعتباراً من عام 1957، لأسباب ليس هنا محل ذكرها.

في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، قامت حركة استقلالية في عموم المستعمرات سعيًا إلى التحرر السياسي والاقتصادي، من الاستعمار - القديم والجديد. وشيئاً فشيئاً تبلورت حركة التحرر الوطني والقومي في القارات الثلاثة: آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية، تحت شعارات التنمية، بدءاً من حركة التضامن الآسيوي - الإفريقي منذ مؤتمر باندونغ عام 1955 والاتجاه إلى «الحياة الإيجابية» بين الكتلتين الكبيرتين، انتهاءً إلى «عدم الانحياز» كسياسة وحركة، وبخاصة بعد مؤتمر بلغراد عام 1961.

في الإطار العام لحركة التحرر الوطني العالمية بأفائها الاستقلالية والتنموية، تبلورت حركة التحرر العربي في ساحة المشرق والمغرب، خلال الخمسينيات والستينيات من القرن المنصرم، بمساعها الاستقلالي وتوجهها الوحدوي وأفقها التنموي، خصوصاً الاشتراكي.

وقد انتصرت مصر سياسياً، وصموداً عسكرياً إزاء العدوان الثلاثي فيما سمي حرب بورسعيد (أو السويس) عام 1956، على إثر تأميم قناة السويس ومقاومة «حلف بغداد» ومساندة ثورة الجزائر عسكرياً وسياسياً (1954 - 1962). وقامت الجمهورية العربية المتحدة بوحدة مصر وسوريا (1958-1961) وانتصرت مصر لثورة اليمن اعتباراً من عام 1962 وقامت من أجلها «حرب اليمن» حتى 1967.

في ظل هذه المنجزات التحررية - الوحدوية،

من اجتماع «الانفتاح»
و«الإصلاح» برزت نخبة
«الليبرالية الجديدة»

محمد عبد الشفيق عيسى *

أفكار من أجل اليسار، ودعوة إلى الحوار...؟ فما اليسار؟ يأتي أصل اللفظة من الطرف المصاحب لتوابع الثورة الفرنسية الكبرى (1789)، إذ شهدت قاعة البرلمان جلوس نواب الشعب الفرنسي - من التيار المسمى «جيروند» على جهة اليمين - وكانوا يميلون إلى «الاتجاه المحافظ»، بينما كان النواب من التيار المسمى «اليعاقبة» يجلسون جهة اليسار، ويميلون إلى إحداث تغيرات راديكالية (جذرية) في الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية آنذاك.

لذلك جرى العرف اللغوي - التاريخي أوروبياً ومن ثم عالمياً، على إطلاق اسم اليمين على أنصار «المحافظة» على الوضع القائم - وربما العودة «الرجعية» إلى أوضاع ما قبل الثورات؛ بينما سُمي أنصار التغيير (الثوري) باليسار. جرت مياه كثيرة في الأنهار خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، فانضوى تحت لواء «اليسار» كثيرون من اتجاهات فكرية متعددة تنتمي عموماً إلى مدارس الفكر الاشتراكي بالمعنى العام والعريض بروافده المتنوعة، ابتداءً من «الماركسية» - نسبة إلى المفكر الألماني كارل ماركس مؤلف الكتاب الموسوعي الأشهر في تحليل النظام الرأسمالي الأوروبي تحت عنوان «رأس المال».

ونشأت على إثر ذلك مجموعة من الأحزاب المسماة بالشيوعية، انتساباً لما دعاه ماركس بالطور «الشيوعي» في تطور المجتمع البشري بعد مرحلة المجتمع الاشتراكي اللاحق لانتهاء الرأسمالية - إلى جانب الماركسية، من اليسار في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بموجات أخرى من الفكر الاشتراكي مثل ما سُمي بالاشتراكية «الغابية»، أي المطالبة بالتغيير التدريجي والجزئي - لا الجذري الشامل - و«الاشتراكية التعاونية». وخارج الفكر الاشتراكي أو اليسار بمعناه المحدد، ظهر ما أطلق عليه الاتجاه (الإصلاحي) الذي يقبل ببقاء النظام الرأسمالي مع إجراء تعديلات (ترقيعية) عليه بين حين وآخر.

وقد بقيت السمة العامة للييسار دائماً في حين «النقد» للنظام الرأسمالي إما بهدف استبداله بنظام اجتماعي أرقى - وهذا هو اليسار «الراديكالي»، وإما بهدف تعديله بصورة أو أخرى في إطار موقع «الوسط» فيما بين اليمين واليسار، وخاصة ما يسمى بيسار الوسط.

أما اليمين فقد صار - من وجهة الفكر الاجتماعي والسياسي ذي الطابع «النقدي» - اسماً علمياً على الاتجاه المحافظ، وكذا «النق» الرجعي» الأكثر التصاقاً بمصالح الشرائح ذات النصب الأعلى من الدخل والثروة الوطنية.

بقيام الاتحاد السوفياتي - إثر «الثورة البلشفية» بقيادة لينين عام 1917 - ولدت

في جوهره لجدول أعمال اليسار ملخصاً في الشعارات الأساسية لـ «ثورة يناير» 2011: حرية، تغيير، عدالة اجتماعية. وكانت محصلة هذا الالتقاء بروز - أو «إعادة بروز» - التيار المسمى بالليبرالية الجديدة، النيوليبرالية، كما يسميها البعض.

فكيف يمكن استنهاض اليسار؟ ومن أين نبدأ في «نقد الفكر» و«فكر النقد»...؟ وإنما لنأمل أن تخير هذه الكلمات اهتماماً مستحقاً، وأن تفتح باباً واجباً للحوار بين المعنيين بالأمر من أهل اليسار في مصرنا العربية وفي الوطن العربي الكبير.

وفي الجزء التالي عود على بدء، للبحث في علامات الطريق المفضى إلى «الليبرالية الجديدة» الراهنة في مصر بالذات، ثم نخرج من بعد في جزء ثالث على نقد «الليبرالية الجديدة»، أننتهي إلى جزء رابع فيه عرض موجز لبنود برنامج اقتصادي مقترح للييسار العربي. بما فيه المصري. مقابل للبرنامج «النيو ليبرالي» المطروح.

الطريق الطويل إلى الليبرالية الجديدة
في مصر

اليسار - بصفة عامة - وجهته الأساسية هي الاشتراكية بأطيافها المتنوعة، وقلدها المركزي العدل التوزيعي للثروات والدخول تأسيساً على بناء قاعدة إنتاجية قابلة

انكسار شوكة «داعش»: البحث عن عقائد قتالية جديدة

ولبنان، وإن كان الاحتمال ضعيفاً بدخوله إلى لبنان فهو لا يمثل الحالة العراقية التي سيطر فيها «داعش» على الموصل. لكن لا بد من التنبيه، وإن كان لبنان جغرافياً وشعبياً وأمنياً بوجود الجيش اللبناني والمقاومة غير مهيا ليشكل معقلاً لـ «داعش»، كما أن لبنان لا يقاس على استراتيجية التنظيم الإرهابي التي تقسم وفق ما يشير إليه كتاب إدارة النوحش إلى عدة مقومات مهمة تحدد ترشيحها لإدارة النوحش وهي:

وجود عمق جغرافي وتضاريس تسمح في كل دولة على حدة بإقامة مناطق فيها تدار بنظام إدارة النوحش.

ضعف النظام الحاكم وضعف مركزية قواته على أطراف المناطق في نطاق دولته، بل وعلى مناطق داخلية أحياناً خاصة المكتظة.

وجود مد «إسلامي جهادي» مبشر في هذه المناطق وفق تعبيره.

طبيعة الناس في هذه المناطق ومدى تهميش الدولة لهم.

انتشار السلاح بأيدي الناس فيها.

ومن المستبعد أن تنطبق هذه الاستراتيجية على لبنان، لكن الذي يجب التنبيه منه هو بحث إرهابي «داعش» عن مواقع لإقامتهم

المناطق العراقية، ثم مرحلة «شوكة التمكين»، والتي هي قيام الدولة، وإعلان الخلافة، لكن هذه الاستراتيجية سقطت حالياً، وأسقطت حلم الإرهابيين.

ومع اندحار «داعش» من معاقله الأساسية في سوريا والعراق يجب علينا أن لا نغفل أن فكر الإرهاب «الداعشي» لن ينتهي، فهذا الفكر موجود عبر التاريخ، ولكنه تفتش بشكل واسع على يد إرهابي «داعش»، ولن ينطفئ بمجرد أقول التنظيم الإرهابي أو مقتل زعيمه أبي بكر البغدادي. ففكر «داعش» يُشكل بأكمله من تعاليم الوهابية التكفيرية التي لم تترك أحداً إلا وكفرته، وعقائد الوهابية تدرس وتطبق في المناطق التي يسيطر عليها «داعش»، لذلك وقيل القول بانتهاء «داعش»، ومكافحة الإرهاب لا بد من القضاء على هذا الفكر الإرهابي، ومنع انتشاره وتقويته.

البحث عن مكان آخر

ولا بد من الالتفات إلى أن اندحار «داعش» من العراق وكذلك سوريا، قد يدفعه للبحث عن موطن قدم ومقر له في دول المنطقة، وعلى رأس هذه الدول اليمن، وأفغانستان، ودول الخليج، وكذلك الأردن، وفلسطين

الموصل العراقية، وسقط معها كل عمليات إدارة النوحش، وبناء الخلافة، لتسقط معها أسطورة الإرهاب الجديد، التي كان العراق الممر الأساسي لها في استراتيجية التنظيم الإرهابي، لكن لم يسقط فكر الإرهاب، وشوكة القتل لا تزال قائمة، وهي موجودة عبر التاريخ.

لا شك أن «داعش» كان يدرك أنه سيخسر الموصل، وهو من خلال تدميره جامع النوري استبق إعلان هزيمته من قبل القوات العراقية، ليشكل وصول هذه القوات إلى مسجد النوري الإعلان عن هزيمة التنظيم الإرهابي، حيث تعمدت القيادة العراقية إعلان النصر بأسلوب محكم زمانياً ومكانياً، لتؤكد سقوط نمر «داعش» الورقي.

وانتهت شوكة التمكين لقد فقد تنظيم «داعش» شوكة التمكين التي تحدث عنها أبو بكر ناجي في كتابه «إدارة النوحش». هذه الشوكة تحصل بعد شوكة النكالية والانهاك، التي ترمي إلى استنزاف قدرات الجيش والدولة التي يريد التنظيم الإرهابي السيطرة عليها، ثم تأتي بعدها مرحلة «إدارة النوحش» التي قام بها «داعش» على طول فترة سيطرته على

علي إبراهيم مطر *

لم تطل الحكاية. ثلاث سنوات كانت كقيلة زمنياً لإنهاء وكر الإرهاب، فانتهدت قصة إجرام حكمتها أياد هوليوودية بزعامة فخرية لأبي بكر البغدادي الذي شغل العالم بأسره. هي برهة من الزمن كانت كقيلة لينتشر تنظيم «داعش» من خلالها كل حقه وإجرامه. ومع أن قصة الخلافة المزعومة سقطت في جامع النوري، لكن لا بد من إفشال السيناريو كاملاً في الرقة بعد الموصل وتكون الضربة القاضية، ليقول اللاعبون الحقيقيون في مواجهة الإرهاب (العراق، سوريا، إيران والمقاومة) لتنظيم «داعش» (Game over).

بيدو أن التاسع والعشرين من شهر حزيران/ يونيو سيحفر عميقاً في الذاكرة العراقية والعربية لا بل في ذاكرة العالم أجمع، ففيه من عام 2014، أي قبل ثلاثة أعوام بالتحديد، أعلن زعيم تنظيم «داعش» الإرهابي، أبو بكر البغدادي، ما يسمى بـ«دولة الخلافة» من على منبر جامع النوري التاريخي الواقع في الجانب الأيمن لمدينة الموصل، التي تمثل مركز محافظة نينوى.

واليوم، سقطت شوكة النكالية الداعشية في